

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم
وعلى آله وصحبه أجمعين

الصَّلَاةُ الْغَيْبِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ

نشرها

سيدي محمد الكبير بن سيدي أحمد

بن سيدي محمد الكبير التجاني

عامله الله بلطفه وأمنه بحفظه

الصَّلَاةُ الْغَيْبِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ ذَاتِكَ الْعَلِيَّةِ، بِأَنْوَاعِ كَمَالَاتِكَ الْبَهِيَّةِ
فِي حَضْرَةِ ذَاتِكَ الْأَبَدِيَّةِ، عَلَى عَبْدِكَ الْقَائِمِ بِكَ مِنْكَ لَكَ إِلَيْكَ
بِأَتَمِّ الصَّلَوَاتِ الزَّكِيَّةِ، الْمُصَلِّي فِي مُحْرَابِ عَيْنِ هَاءِ الْهُوِيَّةِ، التَّالِي السَّبْعِ
الْمِثْنِي بِصِفَاتِكَ النَّفْسِيَّةِ، الْمُخَاطَبِ بِقَوْلِكَ لَهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ،
الدَّاعِي بِكَ لَكَ بِإِذْنِكَ، لِكَافَةِ شُؤْنِكَ الْعَلَمِيَّةِ، فَمَنْ أَجَابَ
اصْطَافِي وَقُرَّبَ، الْمُفِضِ عَلَى كَافَةِ مَنْ أَوْجَدَتْهُ بِقِيُومِيَّةِ سِرِّكَ الْمَدَدِ
السَّارِي فِي كُلِّيَّةِ أَجْزَاءِ مُوَهِّبَةِ فَضْلِكَ، الْمُتَجَلِّي عَلَيْهِ فِي مُحْرَابِ
قُدْسِكَ وَأُنْسِكَ، بِكَمَالَاتِ أُلُوْهِيَّتِكَ فِي عَوَالِمِكَ وَبَرَكَ وَبَحْرِكَ .
فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً كَامِلَةً تَامَّةً بِكَ وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ وَعَلَيْكَ، وَسَلِّمْ
عَلَيْهِ سَلَامًا تَامًا عَامًّا شَامِلًا، لِأَنْوَاعِ كَمَالَاتِ قُدْسِكَ، دَائِمِينَ
مُتَّصِلِينَ عَلَى خَلِيلِكَ وَحَبِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، عَدَدَ مَا فِي عِلْمِكَ
الْقَدِيمِ، وَعَمِيمِ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، وَنُبِّ عَنَّا بِمَحْضِ فَضْلِكَ الْكَرِيمِ، فِي
الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَاتِكَ الَّتِي صَلَّيْتَ عَلَيْهِ فِي مُحْرَابِ قُدْسِكَ وَهُوِيَّةِ
أُنْسِكَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَةِ رَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَسْلِيمًا
عَدَدَ إِحَاطَةِ عِلْمِكَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، الْحَمْدُ
لِلَّهِ الْمُحِيطِ الْأَوَّلِ الْآخِرِ الْبَاطِنِ الظَّاهِرِ [بِأَحَدِيَّةٍ]¹ جَمَعَ ذَاتَهُ، الْقَائِمِ بِكَمَالِهِ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ لِتَجَلٍّ بِهِ لِدَاتِهِ بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ عَلَى ذَاتِهِ بِجَمِيعِ مُتَضَادَّاتِهِ ، فِي أَسْمَائِهِ وَسِمَاتِهِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَافِي بِذَاتِهِ فِي جَمِيعِ مُقْتَضِيَاتِهِ الْهُوِيَّةِ السَّارِيَةِ، وَلَيْسَ إِلَّا مَظَاهِرُهُ
الْبَادِيَّةُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا سِرُّ ذَاتِهِ، وَرُوحُ حَيَاتِهِ، وَنُورُ مِرَاتِهِ، وَقَيُّومُ أَسْمَائِهِ وَسِمَاتِهِ،
وَجَامِعُ جَمْعِ حَضَرَاتِهِ، الْقَائِمُ بِإِحْصَاءِ أَسْمَائِهِ بِآيَاتِهِ، الْأَوَّلُ فِي تَعَلُّقِهِ لِدَاتِهِ، الْآخِرُ عَلَى
حِيطَةِ حُكْمِ مَعْلُومَاتِهِ، الْبَاطِنُ بِفَرْطِ الظُّهُورِ فِي مَثَلَاتِهِ، وَالظَّاهِرُ بِمَا أَحَاطَ قَيُّومُهُ بِصِفَاتِهِ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ الْعَبْدِ الْأَكْمَلِ الْفَاتِحِ الْخَاتِمِ بَعَيْنِ مَا هُوَ الْأَوَّلُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ لَكَمَا لَا نَهَايَةَ لِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالَاتِهِ.

وَبَعْدُ: فَإِنَّ شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا وَوَسِيلَتَنَا إِلَى رَبَّنَا الشَّيْخِ الْإِمَامِ شَيْخِ مَشَايِخِ
الْإِسْلَامِ حُجَّةِ الصُّوفِيَّةِ، قُدْوَةِ أَهْلِ الْخُصُوصِيَّةِ، عَالِمِ الشَّرِيعَةِ، أَسْتَاذِ الطَّرِيقَةِ، سُلْطَانَ
أَهْلِ الْحَقِيقَةِ، إِمَامِ الطَّرِيقَتَيْنِ، وَمُقَدِّمَ الْفِرْقَتَيْنِ، صَاحِبَ الْعُلُومِ الْجَمَّةِ، وَمَعْدِنَ الْمَعَارِفِ،
وَلِسَانَ الْحِكْمَةِ، قُطْبَ الزَّمَانِ وَالْحَامِلَ فِي وَقْتِهِ لَوَاءِ أَهْلِ الْعِرْفَانِ، لِسَانَ الْقُدْسِ وَتُرْجُمَانِ
الرَّحْمَنِ، عِلْمَ الْمُهْتَدِينَ، قُدْوَةَ السَّالِكِينَ تَاجِ الْعَارِفِينَ، إِمَامَ الصِّدِّيقِينَ، إِنْسَانَ عَيْنِ
الْأُسْتَاذَيْنِ الْوَارِثِينَ كَهْفَ الْمُوقِنِينَ الْوَارِثِينَ، أَسْتَاذَ الْأَكَابِرِ وَالْمُنْفَرِدِ فِي زَمَانِهِ بِالْمَعَارِفِ
السَّنِّيَّةِ وَالْمَفَاخِرِ، الْعَالِمَ بِاللَّهِ وَالِدَّالَّ عَلَى اللَّهِ، زَمَزَمَ الْأَسْرَارِ، وَمَعْدِنَ الْأَنْوَارِ الصِّدِّيقِ
الْكَبِيرِ الْقُطْبِ الْعَوْتَ الْجَامِعِ الْوَارِثِ الرَّبَّانِيِّ الشَّرِيفِ النَّسَبِ وَالْأَصِيلِ الْحَسَبِ: أَبُو
الْعَبَّاسِ التَّجَانِيَّ سَقَانَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَحْرِهِ بِأَعْظَمِ الْأَوَانِي. وَضَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَقْيِيداً عَلَى
الصَّلَاةِ الْغَيْبِيَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ، فَأَجَادَ فِيهِ وَأَفَادَ، وَبَلَغَ غَايَةَ الْمُرَادِ.

مقدمة:

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى الصَّلَاةِ الْغَيْبِيَّةِ أَنَّهَا بَرَزَتْ مِنَ الْغَيْبِ لَيْسَتْ مِنْ إِنْشَاءٍ أَحَدٍ، وَأَمَّا الْحَقِيقَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ، فَهِيَ الْأَمْرُ الَّذِي سَبَقَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَمْدِ لِلَّهِ كُلِّ حَامِدٍ مِنَ الْوُجُودِ، فَمَا حَمَدَ اللَّهُ أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ مِثْلَ مَا حَمَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوُجُودِ، ثُمَّ إِنَّهَا فِي نَفْسِهَا أَيْ الْحَقِيقَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ غَيْبٌ مِنْ أَعْظَمِ غُيُوبِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَطْلُعْ أَحَدٌ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ وَالْفُيُوضَاتِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ وَالْمَنَحِ وَالْمَوَاهِبِ وَالْأَحْوَالِ الْعَلِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ، فَمَا ذَاقَ مِنْهَا أَحَدٌ شَيْئًا وَلَا جَمِيعُ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ، اخْتَصَّ بِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَهُ بِمَقَامِهَا، وَكُلُّ مَدَارِكِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُقَرَّبِينَ وَجَمِيعِ الْأَقْطَابِ وَالصِّدِّيقِينَ وَجَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْعَارِفِينَ كُلُّ مَا أَدْرَكَهُ عَلَى جَمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ فَيْضِ حَقِيقَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَأَمَّا حَقِيقَتُهُ الْأَحْمَدِيَّةُ فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ بِنَيْلِ مَا فِيهَا، فَالْحَاصِلُ أَنَّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامَيْنِ مَقَامُ حَقِيقَتِهِ الْأَحْمَدِيَّةِ، وَهُوَ الْأَعْلَى، وَمَقَامُ حَقِيقَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَهُوَ أَدْنَى، وَلَا أَدْنَى فِيهِ. وَكُلُّ مَا أَدْرَكَهُ جَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْفُيُوضَاتِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ وَالتَّرَقِّيَّاتِ وَالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَخْلَاقِ، إِنَّمَا هُوَ كُلُّهُ مِنْ فَيْضِ حَقِيقَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَأَمَّا مَا فِي حَقِيقَتِهِ الْأَحْمَدِيَّةِ فَمَا نَالَ مِنْهُ أَحَدٌ شَيْئًا اخْتَصَّ بِهِ وَخَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِكَمَالِ عِزِّهَا، وَغَايَةِ عُلُوِّهَا. فَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَفَ وَكَرَّمَ وَجَدَّ وَعَظَّمَ.

قَوْلُهُ: "اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ ذَاتِكَ الْعَلِيَّةِ"، يَعْنِي أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَجَلَّى بِكَمَالِ ذَاتِهِ الدَّائِيَةِ فِي الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَهِيَ لَهَا أَيْ لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ كَالْمِرْآةِ تَتَرَاى فِيهَا، فَبِهَذِهِ الْحَيِّثِيَّةِ وَبِهَذِهِ النِّسْبَةِ كَانَتْ الْحَقِيقَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ كَأَنَّهَا عَيْنُ الذَّاتِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّجَلِّي فِي الْوُجُودِ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِهَذِهِ النِّسْبَةِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنَ الذَّاتِ لَا أَنَّهُ حَقِيقَةٌ، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَلَوْ كَانَ هُوَ عَيْنَ الذَّاتِ لِعَبْدٍ وَهَذَا لَا يَتَأْتِي، بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ، وَقَدْ سَجَّلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾¹ وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾² فَالْعُبُودِيَّةُ لَا تَتَأْتِي لِلذَّاتِ الْعَلِيَّةِ لَكِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا صَارَ كَأَنَّهُ عَيْنُهَا.

قَوْلُهُ: "بِأَنْوَاعِ كَمَالَاتِكَ الْبَهِيَّةِ" يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ: الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: حَالَةُ التَّجَلِّي. وَالثَّانِي: حَالَةُ الصَّلَاةِ، فَحَالَةُ التَّجَلِّي يَعْنِي تَجَلَّيَتْ فِيهِ بِكَمَالَاتِ ذَاتِكَ الْبَهِيَّةِ، وَالثَّانِي حَالَةُ الصَّلَاةِ يَعْنِي صَلَّى اللَّهُ [صَلِّ] عَلَيْهِ بِكَمَالَاتِ ذَاتِكَ الْبَهِيَّةِ.

قَوْلُهُ: "فِي حَضْرَةِ ذَاتِكَ الْأَبَدِيَّةِ"، مَعْنَاهُ هُوَ صَلَاةُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ يَا رَبِّ فَصَلِّ عَلَيْهِ فِي حَضْرَةِ ذَاتِكَ الْأَبَدِيَّةِ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فِي حَضْرَةِ الذَّاتِ لَيْسَتْ هِيَ الرَّحْمَةُ كَمَا يَقُولُهُ الْعُلَمَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ لَا يُذَكَّرُ وَلَا يُعْرَفُ وَلَا يُدْرِكُ، فَإِنَّ حَضْرَةَ الذَّاتِ انْطَمَسَتْ فِيهَا الْعِبَارَاتُ كُلُّهَا، وَانْعَدَمَتِ الْإِشَارَاتُ، فَإِنَّ حَضْرَةَ الذَّاتِ لَوْ بَرَزَتْ لِلنَّازِرِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يُجِيبَ [عَنْ] ⁴ سُؤَالٍ، أَوْ يُمَيِّزَ مَرْتَبَةً مِنَ الْمَرَاتِبِ. وَلَوْ سُئِلَ مَائَةً أَلْفِ سُؤَالٍ مَا قَدَرَ أَنْ يُجِيبَ عَنْ سُؤَالٍ وَاحِدٍ، وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي الشَّاهِدِ مِثَالُ: مَنْ أُلْقِيَ فِي نَارٍ طَوَّلَهَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَعَرَضُهَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَهِيَ شَدِيدَةُ الْوَقُودِ لِكثْرَةِ حَطْبِهَا، وَحَالُ مَنْ أُلْقِيَ فِيهَا مَعْرُوفٌ، لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهَا، وَلَا يَقْدِرُ صَاحِبُهَا أَنْ يُجِيبَ سَائِلًا، أَوْ يَفْهَمَ كَلَامًا لِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ عَظَمِ الْأَمْرِ انْتَهَى.

قَوْلُهُ: "عَلَى عَبْدِكَ الْقَائِمِ بِكَ مِنْكَ لَكَ إِلَيْكَ"، الْعَبْدُ هُنَا هُوَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْعَبْدُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي عَبَدَ اللَّهُ بِكُلِّيَّتِهِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُنَاجَاتِهِ فِي

1. الفرقان: 1.

2- البقرة: 23.

4- كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

2- كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

السُّجُودِ: "سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي". السَّوَادُ هُوَ جَسَدُهُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْخَيَالُ هُوَ الرُّوحُ الْمُقَدَّسَةُ، يُرِيدُ أَنَّهُ مَا تَخَلَّفَ مِنْهُ شَيْءٌ عَنِ السُّجُودِ، سَجَدَ [بِكُلِّيَّتِهِ] ¹ لِلَّهِ تَعَالَى مَا تَخَلَّفَ مِنْهُ شَيْءٌ عَنِ السُّجُودِ.

قَوْلُهُ: "الْقَائِمُ"، يَعْنِي قِيَامَهُ بِحَقْقِ اللَّهِ تَعَالَى سِرًّا وَعَلَانِيَةً.

قَوْلُهُ: "بِكَ"، يَعْنِي لَيْسَ قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ كَحَالَةِ الْمَحْجُوبِينَ، وَإِنَّمَا حَالَةُ الْعَارِفِ كَيْفَمَا تَحَرَّكَ تَحَرَّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَنَفْسُهُ عَنْهُ غَائِبَةٌ، فَهَذَا هُوَ الْقِيَامُ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى [حَدٍّ] ² مَا ذَكَرَهُ فِي الْحَدِيثِ: "كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ" الخ. فَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْقِيَامِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: "مِنْكَ"، يَعْنِي أَنَّ الْفَيْضَ الَّذِي أَفَاضَهُ عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ قَائِمًا بِاللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ الْفَيْضُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْ غَيْرِهِ لَيْسَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، وَلَا مِنْ مَادَّةٍ بِشَرِيَّتِهِ بَلْ كَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: "لَكَ"، يَعْنِي أَنَّهُ قَامَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، هُوَ اللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ لِنَفْسِهِ فِيهِ حَظٌّ َ َ َ وَلَا نَصِيبٌ، كَمَا نَقَلَ الرُّوَاةُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا انْتَصَرَ قَطُّ لِنَفْسِهِ.

قَوْلُهُ: "إِلَيْكَ"، يَعْنِي قِيَامَهُ الَّذِي قَامَ بِهِ وَفِيهِ هُوَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ذَاهِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ الْأَغْيَارِ بِمَحَقِ الْغَيْرِ وَالْغَيْرِيَّةِ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ: ﴿فَفَرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ³ يَعْنِي مِنْ جَمِيعِ غَيْرِهِ، وَكَمَا [أَخْبَرَ] ⁴ اللَّهُ عَنْ خَلِيلِهِ وَصَفِيِّهِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَالَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ﴾ ⁵ قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا تَخْشَى مِنْ أَمْرِكَ شَيْئًا وَاخْشَى أَنْ لَا تَخْتَارَ وَفَرٍّ مِنْ ذَلِكَ الْمُخْتَارِ وَمِنْ اخْتِيَارِكَ وَمِنْ فِرَارِكَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ"، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾.

1. كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

3- الذاريات: 50

5- الصافات: 99

2- كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

4- كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

قَوْلُهُ: "بِأَتَمِّ الصَّلَوَاتِ الزَّكِيَّةِ"، مَعْنَاهُ صَلَّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ بِأَتَمِّ الصَّلَوَاتِ يَعْنِي بِأَكْمَلِهَا وَأَعْظَمِهَا.

قَوْلُهُ: "الزَّكِيَّةِ"، يَعْنِي الْمُتَزَايِدَةَ الَّتِي لَا غَايَةَ لَهَا، وَالزَّكِيَّةُ فِي نَفْسِهَا هِيَ الْبَالِغَةُ إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى فِي الْكَمَالِ انْتَهَى.

قَوْلُهُ: "المُصَلِّي فِي مُحَرَّابٍ عَيْنِ هَاءٍ الْهُوِيَّةِ"، يَعْنِي أَنَّ الْمُصَلِّيَّ فِي مُحَرَّابٍ عَيْنِ هَاءٍ الْهُوِيَّةِ هُوَ إِمَامٌ جَمِيعِ الْوُجُودِ، وَالْوُجُودُ كُلُّهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ الْمُحَرَّابُ لِكَوْنِهِ لَا ثَانِي لَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ الْأَحَدِيَّةِ، فَإِنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ يُصَلِّي فِي جَامِعِ حِيطَةِ الْأُلُوْهِيَّةِ. وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي مُحَرَّابٍ تَجَلَّى الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ مِنْ حَيْثُ مَا هِيَ هِيَ، فَإِنَّهَا عَيْنُ الْعَيْنِ وَعَيْنُ الْهَاءِ، فَالْهَاءُ هِيَ هُوِيَّةُ الذَّاتِ وَالْعَيْنُ عَيْنُهَا، وَوُجُودُهَا الَّذِي هُوَ حَضْرَةُ الطَّمْسِ وَالْعَمَّا.

قَوْلُهُ: "التَّالِي السَّبْعَ الْمَثَانِي"، يَعْنِي أَنَّ السَّبْعَ الْمَثَانِي هُنَا هِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَهِيَ فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ لَا تُعْرَفُ وَلَا تُدْرَى، إِنَّمَا هِيَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ [عَيْنُ هَاءٍ]¹.

قَوْلُهُ: "بِصِفَاتِكَ النَّفْسِيَّةِ"، يَعْنِي أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِهَا حِينَئِذٍ وَلَا يَتَّصِفُ بِهَا غَيْرُهُ إِلَّا خَلِيفَتُهُ الْأَكْبَرُ، وَالصِّفَاتُ النَّفْسِيَّةُ هِيَ السَّبْعُ [الْمَثَانِي]²، وَهِيَ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا السَّبْعَ الْمَثَانِي فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ، لِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي هِيَ صِفَاتُ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ جَلَّتْ وَتَقَدَّسَتْ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ عُلُومُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَارِفُهُ وَأَسْرَارُهُ وَجَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ كُلِّ مَا أَدْرَكَوْهُ فِي هَذَا الْمِيدَانِ كُلِّهِ تَحْتَ مَقَامِ هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ، وَهُمَا عَيْنُ هَاءٍ.

قَوْلُهُ: "المُخَاطَبُ بِقَوْلِكَ لَ هُ" "وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ"، يَعْنِي أَنَّ سُجُودَهُ لِلَّهِ تَعَالَى سُجُودٌ بِكُلِّيَّتِهِ جُزْءًا جُزْءًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، كَمَا قَالَ فِي مُنَاجَاتِهِ السَّابِقَةِ: "سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخِيَالِي" الخ. وَاقْتَرَبَ مَعْنَاهُ قُرْبُ النِّسْبَةِ لَا قُرْبُ الْمَسَافَةِ، وَمَعْنَاهُ هُوَ مُنَاسِبَةُ الْعَبْدِ لِلْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ الْحَضْرَةَ قُلْنَا حَقِيقَتُهَا هِيَ مَحْقُ الْغَيْرِ وَالْغَيْرِيَّةِ، فَلَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا رَسْمَ وَلَا وَهْمَ وَلَا خِيَالَ وَلَا عَقْلَ وَلَا تَمَيِّزَ إِلَّا الطَّمْسُ وَالْعَمَّا، حَيْثُ لَمْ يُعْقَلْ هُنَاكَ إِلَّا اللَّهُ بِاللَّهِ اللَّهُ فِي اللَّهِ عَنِ

1. كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

2. كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

الله، فهذه هي نسبة الحضرة الإلهية وهذا هو القرب الحقيقي لا قرب المسافة، والعبد وضع في أول نشأته لا يخوض إلا في وجود الكون كيفما تقلب، وكيفما تحرك أو سكن، هو في غيبة عن الله تعالى، وهذا هو البعد عن الله لا بعد المسافة، فإنها مستحيلة. فإذا عرفت هذا وتحققته فالعبد إذا دخل الحضرة الإلهية لا يدخلها إلا بنسبتها، وهي محو الغير والغيرية من قلبه، فحينئذ يناسبها ويدخلها، فإذا دخلها كان مقامه فيها مناسبة ما انكشف له من صفات الله وأسمائه، فإذا أدى آدابها وظائفها وحقائقها ناسب المقام الذي فوقها الذي كان محتجبا عنه، فيرقى إليه ويدخله فيتجلى له من الصفات والأسماء قدر ما يكون المقام معه كنقطة في بحر. والصفات والأسماء التي انكشفت له في مناسبتها لها فإذا أدى وظائف مقامه وآدابه بما فيه من الصفات والأسماء ناسب المقام الثالث وارتقاه، وتجلى له من الصفات والأسماء فيه ما يكون معه المقام الثاني كنقطة في بحر. فإذا أدى وظائف المقام الثالث وآدابه بما فيه من الصفات والأسماء ناسب المقام الرابع فارتقاه بنسبته، وتجلى له فيه من الصفات والأسماء والمواهب والفيوض والتجليات ما يكون معه المقام الثالث بالنسبة إليه كنقطة في بحر. ثم إذا أدى وظائف المقام الرابع واستوفى آدابه ناسب المقام الخامس بما فيه من الصفات والأسماء. فإذا ناسبه ارتقى إليه وتجلى له فيه ما يكون المقام الرابع بالنسبة إليه كنقطة في بحر. وهكذا أبداً سرمداً كلما ارتقى مقاماً ووفى بوظائفه وآدابه ناسب المقام الذي فوقه فارتقى إليه بنسبته، وتجلى له فيه ما يكون المقام الذي تحته بالنسبة إليه كنقطة في بحر. وهكذا أبداً سرمداً في طول عمر الآخرة الأبدي فالعارف فيه أبداً على هذا الترتي فالقرب هنا الذي يسمى صاحبه مقرباً هو إذا وفى السائر إلى الله تعالى بوظائف مقامه وآدابه ناسب المقام الذي فوقه ويسمى الترقى في المقامات، هو القرب الحقيقي للمناسبة التي فيه. فإنه لا يقدر مثلاً أن يكون في المقام الألفى، ويناسب المقام الذي هو مكمل مائة ألف مقام، فلا يرتقيه لبعد النسبة التي بينه وبينه. فإن الصفات والأسماء والتجليات التي تنكشف له في المقام الذي هو مكمل مائة ألف مقام، لا يقدر على وظائفها وآدابها وتحمل أثقالها من هو في المقام المكمل ألف مقام، فهو بهذه الحيثية هو بعيد منها لا يقدر أن

يَرْتَقِيهَا حَتَّى إِذَا ارْتَقَى مَقَامًا مَقَامًا بَعْدَ مَقَامٍ بِتَوْفِيَةٍ وَظَائِفٍ كُلِّ مَقَامٍ وَآدَابِهِ إِلَى أَنْ يَصِلَ الْمَقَامَ الْمُكْمَلَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةً وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ أَلْفَ مَقَامٍ، فَإِذَا اسْتَوْفَى وَظَائِفُهُ وَآدَابُهُ نَاسَبَ الْمَقَامَ الْمُكْمَلَ مِائَةً أَلْفٍ، فَيَرْتَقِيهِ حِينَئِذٍ، وَقَدْ كَانَ فِي الْمَقَامِ الْمُكْمَلِ أَلْفًا فِي غَايَةِ الْبُعْدِ عَنْهُ، وَنَعْنِي بِالْبُعْدِ عَدَمَ مُنَاسَبَتِهِ بِتَجَلِّيِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَجَلِّيِ يَاتِهِ. فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا عَرَفْتَ حَقِيقَةَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ الْعَارِفُونَ. وَبِهَذَا تَمَّ الْكَلَامُ عَلَى الْقُرْبِ وَالسَّلَامِ.

فَإِذَا وَفَّى بِوِظَائِفِ مَقَامِهِ أَدَبًا وَخِدْمَةً وَمُنَاسَبَةً ارْتَقَى إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي يَلِيهِ، وَكَانَتْ جَمِيعُ التَّجَلِّيَّاتِ الَّتِي فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ الَّذِي ارْتَقَى إِلَيْهِ تُعْطِيهِ كُلَّمَا هُوَ فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ وَالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْمُنَازَلَاتِ وَالْكُشُوفَاتِ وَالتَّحَقُّقِ وَالْيَقِينِ وَالتَّمَكُّنِ وَالتَّوْحِيدِ وَالتَّجْرِيدِ وَالْحُكْمِ وَالدَّقَائِقِ وَالرَّفَائِقِ وَالْحَقَائِقِ وَاللَّطَائِفِ وَالْمِنْحِ وَالْمَوَاهِبِ، وَمَا لَا تُحِيطُ بِهِ الْإِنْفَكَارُ عَلَى غَايَةِ تَضَاعُفِهَا فِي الْأَعْمَارِ. فَإِنْ أَحَلَّ بِشَيْءٍ مِنْ وَظَائِفِ مَقَامِهِ أَتَتْهُ التَّجَلِّيَّاتُ نَاقِصَةً الْفَيْضِ فِي كُلِّ مَا ذُكِرَ، لَمْ تَأْتِهِ بِجَمِيعِ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ لِعَدَمِ تَوْفِيَّتِهِ بِوِظَائِفِ مَقَامِهِ. وَهَكَذَا فَإِذَا ارْتَقَى إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي فَوْقَهُ وَجَدَ فِيهِ النِّقْصَ لِلْخَلَلِ الَّذِي لَحَقَهُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ. وَهَكَذَا هُوَ وَصَفُ أَهْلِ الْقُرْبِ دَائِمًا.

قَوْلُهُ: "الدَّاعِي لَكَ بِإِذْنِكَ"، مَعْنَاهُ أَنَّهُ وَصَفَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ يَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ بِاللَّهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾¹ وَالْحُكْمَةُ هُنَا هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِاللَّهِ بِلَا إِقَامَةِ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ صَعْبَةٌ لَا انْقِيَادَ لِلْخَلْقِ إِلَيْهَا لِكَثْرَةِ اشْتِغَالِهِمْ عَنِ اللَّهِ بِمُتَابَعَةِ أَهْوَائِهِمْ، فَلَيْسَ يَسْتَجِيبُ بِالدَّعْوَةِ الْأُولَى وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِاللَّهِ الَّتِي هِيَ الْحُكْمَةُ إِلَّا أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالتَّمَكُّنِ، مُسْتَعْرِقِينَ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى هَذَا الَّذِي يَسْتَجِيبُونَ بِطَرِيقِ الْحُكْمَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُونَ كَافَّةِ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُمْ مَشْغُولُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِمُتَابَعَةِ أَهْوَائِهِمْ، وَلِذَا عَطَفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ. يَعْنِي عِظُهُمْ بِرَفْقٍ وَلِينٍ، يُرِيدُ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ بِوَعِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّخْوِيفِ مِنْ شِدَّةِ عِقَابِهِ، وَتَذَكَّارِهِمْ مَا حَلَّ بِالْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ الَّتِي عَصَتْ الرُّسُلَ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْوَبَالِ، [مِثْلَ] عَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ

وغيرهم ممن ذكر الله قصصهم في القرآن. فإن هؤلاء لما كانوا مشغولين بمتابعة أهوائهم أمر أن يعظهم بالمواعظ التي يستجيبون لها بالتخويف بشدة العذاب والهلاك، لكونهم لا يستجيبون بالحكمة. ثم عطف بالمرتبة الثالثة وهي إذا هبط الإنسان إلى أسفل سافلين بالبعد عن الله تعالى، وأخذ يحاجج عن أباطيله والتمسك بضلاله قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالِيتٍ هِيَ أَحْسَنُ﴾¹ في إبطال حجج أباطيلهم. قال صلى الله عليه وسلم: حين نادى أبا سفيان يوم أحد، وقد وقع في الصحابة ما وقع، جاء إلى المحل الذي اجتمعوا عليه، وقد كان مجروحاً بعدما هدا القتال قال لهم: أفي القوم محمد؟ قال لهم صلى الله عليه وسلم: "لا تحيوه". فسكتوا. ثم نادى أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال لهم صلى الله عليه وسلم: "لا تحيوه". ثم نادى أفي القوم ابن الخطاب؟ قال لهم صلى الله عليه وسلم: "لا تحيوه". فقال لمن معه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم يريد أن بهم قوام الأمر. فلم يصبر عمر حينئذ واستخف فتأداه بلى بقي لك ما يخزيك الله به! فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتل محمد أم لا؟ قال: لا والله هو حيٌّ الآن يسمع كلامك. قال له أنت أصدق عندي من ابن قميئة. ثم قال أبو سفيان: ونادى بأعلى صوته أعل هبل، وهو أعظم أصنامهم كانوا جعلوه في جوف الكعبة يعبدونه. فقلوه أعل هبل أظهر دينك أيها الإله قال لهم صلى الله عليه وسلم: "قولوا له الله أعلى وأجل الله أعلى وأجل" فإن هذه القولة لم يجد لها دافعاً لأنه يعلم أن الله لا يعمل عليه شيء سبحانه وتعالى. ثم نادى أبو سفيان فقال: إن لنا العزى ولا عزى لكم. فقال لهم صلى الله عليه وسلم: "قولوا له الله مولانا ولا مولى لكم". فسكت إذا ولم يجد دافعاً للحجة التي قامت عليه لأنه يعلم أن الله لا يعمل عليه شيء لأنهم كانوا يعلمون هذا، ولا يشكون فيه. قال أبو جهل حين وقف في الصف يوم بدر قال: إن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فوالله ما لأحد بالله من طاقة، وإن كنا إنما نقاتل الناس فوالله ما بنا من ضعف. انتهى.

قَوْلُهُ: "**يَا ذُنُك**"، يَعْنِي أَنَّهُ دَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ يَعْنِي إِذْنُ اللَّهِ لَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَأَمْرُهُ بِذَلِكَ. قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾¹ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾² الْآيَةُ، وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾³ أَنْتَهَى.

قَوْلُهُ: "**لِكَافَّةِ شُؤْنِكَ الْعِلْمِيَّةِ**"، يَعْنِي أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا جَمِيعَ الْوُجُودِ كُلَّهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْضُهُ بِالرَّسَالَةِ وَتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، وَهُمْ بَنُو آدَمَ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَبَعْضُهُمْ بِالتَّصَرُّفِ. وَمَعْنَى التَّصَرُّفِ هُوَ التَّصَرُّفُ بِالْأَسْرَارِ تَوَجَّهَ إِلَى الْوُجُودِ بِفَيْضِهِ وَأَسْرَارِهِ، حَتَّى انْقَادَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْوُجُودِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْبِيحِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ، [فَهِيَ الشُّؤْنُ]⁴ الْعِلْمِيَّةُ، وَنَعْنِي بِهِ جَمِيعَ الْوُجُودِ.

قَوْلُهُ: "**فَمَنْ أَجَابَ اصْطُفِيَ وَقَرَّبَ**"، يَعْنِي أَنَّ مَنْ أَجَابَ الدَّعْوَةَ مِنَ الْمَدْعُودِينَ بِأَنَّهُ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَبَدَ اللَّهَ اصْطُفِيَ فِي وَقَرَّبَ وَكَانَتْ مَأْوَاهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَبَى طُرِدَ وَلَعِنَ وَأُبْعِدَ، وَكَانَ مَأْوَاهُ النَّارَ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا.

قَوْلُهُ: "**الْمُفِضُ عَلَى كَافَّةٍ مَنْ أَوْجَدْتَهُ بِقِيُومِيَّةِ سِرِّكَ**"، هَذَا وَصَفُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ مُفِضٌ عَلَى كَافَّةٍ خَلَقَ اللَّهُ عَلَى الْعُمُومِ وَالْإِطْلَاقِ فِي كُلِّ مَا يَنَالُهُم مِنَ الْمَنَافِعِ دِينًا وَدُنْيَا وَآخَرَى، وَمِنْ جَمِيعِ الْمَضَارِّ. كَذَلِكَ فَإِنَّهُ مُفِضٌ لْجَمِيعِهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْوُجُودِ. ثُمَّ وَصَفَ جَمِيعَ الْوُجُودِ بِأَنَّهُ كَافَّةٌ مَنْ أَوْجَدْتَهُ بِقِيُومِيَّةِ سِرِّكَ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ أَوْجَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِيُومِيَّةِ السِّرِّ الْإِلَهِيِّ، وَالْقِيُومِيَّةُ هِيَ الْوَاقِعَةُ بِسِرِّ اسْمِهِ الْقِيُومِ، وَالْقِيُومُ هُوَ الْمُقِيمُ لْجَمِيعِ الْوُجُودِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَأَوَّلًا وَآخِرًا، وَكُلًّا وَبَعْضًا عَلَى الْحَدِّ الَّذِي نُقِّدَتْ بِهِ مَشِئَتُهُ، وَتَصَوَّرَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، فَهُوَ يُقِيمُ الْوُجُودَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى حَدِّ ذَلِكَ الْمِقْدَارِ بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ، وَلَا يُفِيدُ فِي زِيَادَةٍ ذَلِكَ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ، أَعْنِي أَنْ يَزِيدَ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي نُقِّدَتْ بِهِ الْمَشِئَةُ فِي الْأَزَلِّ، وَتَصَوَّرَ فِي سَابِقِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، فَلَا سَبَبَ يُفِيدُ فِي هَذَا الْمِيدَانِ لَا

1. المائدة: 67.

2- المذثر: 1-2.

4- كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

3- كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

زِيَادَةً وَنَقْصًا، فَلَيْسَ تَوْفُّرُ الْأَسْبَابِ وَتَظَافُرُهَا يُفِيدُ فِي الزِّيَادَةِ حَتَّى مِقْدَارَ [هَبْنَةٍ]¹ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي نُفِذَتْ بِهِ الْمَشِيئَةُ، وَلَيْسَ تَخَلُّفُ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ الْحَكَمِيَّةِ تَنْقُصُ مِنْ ذَلِكَ الْمِقْدَارِ مِقْدَارَ هَبْنَةٍ، فَوُجُودُ الْأَسْبَابِ وَعَدَمُهَا فِي هَذَا الْمَيْدَانِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَعَلَى هَذَا التَّحْقِيقِ وَجَرِيهِ وَقَعَ اسْمُهُ الْعَدْلُ، وَالْعَدْلُ هُوَ التَّصَرُّفُ فِي الْعَالَمِ الْمُعَبَّرِ بِهِ عَنْ جَمِيعِ الْوُجُودِ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي نُفِذَتْ بِهِ الْمَشِيئَةُ، وَتَصَوَّرَ فِي سَابِقِ الْعِلْمِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، فَهَذَا مَعْنَى اسْمِهِ الْعَدْلُ.

قَوْلُهُ: "الْمَدَدُ السَّارِي فِي كُلِّيةِ أَجْزَاءِ مَوْهَبَةٍ مِنْ فَضْلِكَ" مَعْنَاهُ هُوَ الْفَيْضُ عَلَى كَافَّةِ الْوُجُودِ، وَالشَّيْءُ الَّذِي يُفِيضُهُ هُوَ مَدَدُهُ السَّارِي فِي جَمِيعِ الْوُجُودِ، فَإِنَّ الْفَيْضَ الْإِلَهِيَّ مِنَ الْحَضْرَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ لَجَمِيعِ الْوُجُودِ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ يَجْتَمِعُ ذَلِكَ الْفَيْضُ كُلُّهُ فِي الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَسْرِي مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْقَسِمًا عَلَى جَمِيعِ الْوُجُودِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطِي". أَخْبَرَ أَنَّ الْعَطَاءَ الْأَوَّلَ وَهُوَ الْإِفْطَاحُ الْإِلَهِيُّ كَانَ مُفَصَّلًا فِي الْقِسْمَةِ عَلَى مَا نَفَّذَتْ بِهِ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ. وَالْإِفْطَاحُ أَوَّلًا كَانَ مِنَ اللَّهِ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَالتَّقْسِيمُ هُوَ تَنَاوُلُهُ مِنْ يَدِ الْمَلِكِ أَوْ مِنْ حَضْرَتِهِ وَتَوْصِيلُهُ إِلَى مَنْ أُمِرَ بِإِعْطَائِهِ، كَانَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ الَّذِي يَأْمُرُهُ الْمَلِكُ بِتَوْصِيلِ الْعَطَايَا إِلَى النَّاسِ، فَهُوَ يُوصِّلُهَا إِلَى أَرْبَابِهَا عَلَى قَدْرِ مَا أَرَادَهُ الْمَلِكُ. فَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ، وَهُوَ "إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطِي"، وَكَمَا قَالَ الشَّيْخُ الْأَكْبَرُ فِي صَلَاتِهِ فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْقَلَمُ النُّورَانِي الْجَارِي بِمَدَدِ الْحُرُوفِ الْعَالِيَاتِ، وَالنَّفْسُ الرَّحْمَانِيَّةُ السَّارِي بِمَدَادِ الْكَلِمَاتِ الثَّمَاتِ. فَهَذَا السَّرْيَانُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَمِيعِ الْوُجُودِ [كُلَّمَا]² نُفِذَتْ بِهِ مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَجَمِيعِ الْوُجُودِ، لَا يَتَأَتَّى إِصَالُهُ إِلَى أَرْبَابِهِ إِلَّا بِنِيَابَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مُطْلَقًا وَعُمُومًا مِنْ غَيْرِ شُدُودٍ، وَلَا تَخْصِصٍ.

1. كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

2. كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

قَوْلُهُ: "كُلِّيَّةُ أَجْزَاءِ مَوْهَبَةٍ فَضْلِكَ"، اعْلَمْ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ عَلَى جُمْلِهِ وَتَفْصِيلِهِ كُلُّهُ، مَوْهَبَةٌ مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، جَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْوُجُودِ أَوَّلًا وَالْخَلْقِ، ثُمَّ جَادَ ثَانِيًا بِإِقَامَةِ الْوُجُودِ، وَإِصَالِ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، فَمَا هُنَاكَ إِلَّا فَضْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ: "الْمُتَجَلِّي عَلَيْهِ فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ وَأُنْسِكَ"، يَعْنِي أَنَّ الْمُتَجَلِّي -بِفَتْحِ اللَّامِ- عَلَيْهِ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ وَأُنْسِكَ، مِحْرَابُ الْقُدْسِ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا هِيَ: الْحَضْرَةُ الْأَحْمَدِيَّةُ الَّتِي فِيهَا يُقَدِّسُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَحْمَدُهُ حَقِيقَةُ حَمْدِهِ فِي مِحْرَابِ قُدْسِهِ، وَالْقُدْسُ هُوَ الطَّهَارَةُ، وَهُوَ الطَّاهِرُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَفِي مِحْرَابِ أُنْسِكَ، وَهُوَ الْأُنْسُ بِاللَّهِ حَيْثُ لَا النِّفَاتِ لِعَيْزِهِ كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِي وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى". فَهَذَا الْأُنْسُ بِاللَّهِ بَعْدَ الْإِلْتِفَاتِ لِعَيْزِهِ انْتَهَى.

قَوْلُهُ: "بِكَمَالَاتِ أُلُوْهِيَّتِكَ فِي عَوَالِمِكَ وَبَرِّكَ وَبَحْرِكَ" هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى الْمُتَجَلِّي عَلَيْهِ، تَجَلَّى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِكَمَالَاتِ ذَاتِهِ، أَوْ بِكَمَالَاتِ أُلُوْهِيَّتِهِ، يَعْنِي أَظْهَرَهَا لَهُ.

قَوْلُهُ: "فِي عَوَالِمِكَ"، يَعْنِي فِي جَمِيعِ الْعَوَالِمِ مُطْلَقًا، وَجَمِيعِ الْعَوَالِمِ هُوَ مَا انْطَبَقَ عَلَيْهِ الطُّوْقُ الْأَخْضَرُ وَمِنْ وَرَائِهِ لَا شَيْءٌ.

وَقَوْلُهُ: "وَبَرِّكَ وَبَحْرِكَ"، تَخْصِصٌ بَعْدَ عُمُومٍ.

قَوْلُهُ: "فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً كَامِلَةً تَامَّةً"، طَلَبَ الْمُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ التَّامَّةِ الْكَامِلَةِ، وَهُوَ عَطْفُ بَيَانٍ، وَصَلَاةُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوْفِيقِيَّةٌ لَا تُعْرَفُ حَقِيقَتُهَا. وَمَا يَقُولُهُ فِيهَا أَهْلُ الطَّاهِرِ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: "بِكَ وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ وَعَلَيْكَ"، قَوْلُهُ بِكَ يَعْنِي بِذَاتِكَ، وَمِنْكَ يَعْنِي وَمِنْ ذَاتِكَ وَصَلِّ عَلَيْهِ إِلَيْكَ فَإِنَّ وُجُودَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ، أَيُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ الْمُرْسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "النَّاسُ ثَلَاثَةٌ قَوْمٌ هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنْهُمْ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ الْعِبَادُ وَالْعَامَّةُ،

وَقَوْمٌ هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ وَهُمْ الْخَاصَّةُ، وَقَوْمٌ هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ،
فَالْخَاصَّةُ الْأُولَى وَإِنْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْعُلُوِّ فَيُلْحَقُهُمُ النِّقْصُ مِنْ حَيْثُ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمُهْدِي لَهُمْ، وَالْمُعْطِي فَتَقْصُصُهُمْ هُوَ شُهُودٌ وَجُودُهُمْ مَعَ وَجُودِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالْكَمَالُ
وَالْتَّمَامُ لِلطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ هُمْ بِشُهُودِ مَا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ فَلَيْسَ لِنُفُوسِهِمْ عِنْدَهُمْ شَأْنٌ حَتَّى
يُعْطِيَهَا أَوْ يُهْدِي إِلَيْهَا، بَلْ ائْتَحَقَّ وَجُودُهُمْ تَحْتَ وَجُودِهِ فَلَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ وَلَا غَيْرِيَّةَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ، فَهَذَا هُوَ الْكَمَالُ. هُوَ الْمُعْطِي لَا غَيْرِيَّةَ بَلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ إِذَا ارْتَفَعَ
الْحِجَابُ شَهِدَ الْعَالَمُ كُلُّهُ شَأْنًا مِنْ شُؤْنِ الْحَضَرَةِ الْأَحَدِيَّةِ، فَلَيْسَ إِرَادُهُ الْأَشْيَاءَ إِلَّا مِنْهُ
لِنَفْسِهِ، وَالْعَالَمُ كُلُّهُ شُؤْنُهُ، وَهَذَا الْمَشْهَدُ هُوَ مَشْهَدُ الْأَفْرَادِ.

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصِّنْفُ الْأَوَّلُ:
الْعُلَمَاءُ اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فِي أَقْوَالِهِ. وَالصِّنْفُ الثَّانِي: الْعِبَادُ اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَفْعَالِهِ. وَالصِّنْفُ الثَّالِثُ: الصُّوفِيَّةُ اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
أَخْلَاقِهِ. وَالصِّنْفُ الرَّابِعُ: الْعَارِفُونَ الْمُحَقِّقُونَ اقْتَدَوْا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْوَالِهِ.
فَمَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ أَقْوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَسْقُطُ بِهِ الْحَرْجُ وَالْإِثْمُ،
وَنَهَايَتُهُمُ الْجَنَّةُ. وَمَذْهَبُ الْعِبَادِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْفِي النِّقْصَ
وَالْحِلَلَ عَنِ الْعَبْدِ، وَنَهَايَتُهُمُ الثَّنَاءُ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ، وَتَعْظِيمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَوْقِفِ
الْقِيَامَةِ. وَمَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقْنَعُوا بِحَالَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بَلْ دَخَلُوا مَدَاخِلَ النَّبِيِّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَوَّلُ مَدَاخِلِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِمْ كَالْحِلْمِ، وَالْعَفْوِ وَالسَّخَاءِ،
وَالِإِثَارِ، وَمُسَامَحَةِ الظَّالِمِ، وَالْعَفْوِ عَنْهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ. وَأَمَّا الْعَارِفُونَ فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا
مَدَاخِلَ الْغَايَاتِ أَعْنِي غَايَاتِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ فَإِنَّ غَايَةَ الْعُبُودِيَّةِ التَّقَلُّبُ فِي أَحْوَالِ الْحَضَرَةِ
الْقُدْسِيَّةِ، وَالْإِتِّصَافُ [بِصِفَاتِ] ¹ اللَّهُ تَعَالَى، وَالتَّحَقُّقُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَلَا غَايَةَ وَرَاءَ هَذَا إِلَّا
الْأُلُوهِيَّةُ، وَهِيَ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَى الْعَبْدِ لَا يَتَّصِفُ بِهَا إِلَّا الْإِلَهُ وَحْدَهُ. وَحَقِيقَةُ الْأَحْوَالِ هِيَ
التَّمَكُّنُ مِنَ الثُّبُوتِ لِتَقَلُّبِ التَّجَلِّيَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَتَطَوُّرِ الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ مَعَ التَّلَوُّنِ بِمُقْتَضِيَّاتِهَا،

وَتَوْفِيَةِ حُقُوقِهَا، وَآدَائِهَا، وَمُنْشَأُهَا أَصْلَانِ: الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: هُوَ مَشَاهِدَةُ الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ بِعَيْنِ الْعِيَانِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ. وَالْأَصْلُ الثَّانِي: مَحَبَّةُ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ لِدَاثِهَا لَا لِعَارِضٍ غَيْرِهَا. وَالْأَصْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الْأَصْلُ الثَّانِي وَالْأَوَّلُ فَلَا. [وَيُنْشَدُ]¹:

قَرِيبُ الْوَجْدِ ذُو مَرَمَى بَعِيدٍ . عَلَى الْأَحْرَارِ مِنْهُمْ وَالْعَبِيدِ
غَرِيبُ الْوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَرِيبٍ . كَأَنَّ فُؤَادَهُ زُبُرُ الْحَدِيدِ
لَقَدْ عَزَّتْ مَعَانِيهِ فَغَابَتْ . عَنْ الْأَبْصَارِ إِلَّا لِلشَّهِيدِ
تَرَى الْأَعْيَادَ فِي الْأَوْقَاتِ تَجْرِي لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ عِيدٍ
وَلِلْأَحْبَابِ أَفْرَاحٍ بَعِيدٍ . وَلَا تَجِدُ السُّرُورَ لَهُ بَعِيدٍ

قَوْلُهُ: "**وَعَلَيْكَ**"، مَعْنَاهُ هُوَ غُلُوُّ الْعِنَايَةِ. يَعْنِي أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اعْتَنَى بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِالصَّلَاةِ لَا يَتْرُكُ وَلَا يُفَرِّطُ فِيهَا كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾² يُرِيدُ حُكْمًا حَتَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ، يَعْنِي لَا يَتْرُكُهُ، وَكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾³ يَعْنِي أَنَّ هَذَا حُكْمٌ حَكَمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ لَا يُمْكِنُ تَخْلُفُهُ، وَلَا يُتَصَوَّرُ كَمَا قَالَ: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ﴾⁴ فَحَكَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ بِاخْتِيَارِهِ أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتْمًا مَقْضِيًّا اعْتِنَاءً مِنْهُ بِحَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا اعْتَنَى بِجَمِيعِ الْوُجُودِ، حَيْثُ حَكَمَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالرَّحْمَةِ فَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾⁵ الْآيَةُ. فَطَلَبَ الْمُصَلِّي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الصَّلَاةَ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَكُونَ بَارِزَةً مِنْ عَيْنِ الْعِنَايَةِ، وَهِيَ شِدَّةُ الْإِعْتِنَاءِ بِالشَّيْءِ. فَهَذَا مَعْنَى وَعَلَيْكَ.

قَوْلُهُ: "**وَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامًا تَامًا عَامًا شَامِلًا**"، وَمَعْنَى السَّلَامِ، هَهُنَا هُوَ الْأَمَانُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ تَشْوِيشًا، أَوْ تَنْغِيصًا، أَوْ نَقْصًا فِي الْحَظِّ الْعَاجِلِ أَوْ الْآجِلِ.

1. كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

2- كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

3- الأنعام: 54.

5- الأنعام: 54

2- هود: 6.

4- ق: 29

قَوْلُهُ: "تَامًّا"، يَعْنِي مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ لَا يَقَعُ لَهُ تَشْوِيشٌ، وَلَا تَنْغِصٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ.

وَقَوْلُهُ: "عَامًّا شَامِلًا"، مَعْطُوفَاتٌ لِلتَّفْنِ فِي الْعِبَارَةِ.

قَوْلُهُ: "لأنواع كَمَالَاتٍ قُدْسِكَ"، يَعْنِي أَنَّهُ ذَكَرَ هَاهُنَا عُمُومَ السَّلَامِ وَشُمُولَهُ، لِأَنَّهُ شَامِلٌ لِّجَمِيعِ كَمَالَاتِ الْقُدْسِ، وَهُوَ وُرُودُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَضْرَةِ ذَاتِهِ، فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِ الْقُدْسِ.

قَوْلُهُ: "دَائِمِينَ مُتَّصِلِينَ"، التَّثْنِيَةُ هَاهُنَا لِلصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ دَائِمِينَ.

وَقَوْلُهُ: "مُتَّصِلِينَ"، دَفْعًا لِمَا يُوهَمُ فِي الدَّوَامِ أَنْ يُفْعَلَ مَرَّةً وَيُقْطَعَ أُخْرَى، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى الدَّوَامِ فَهَذَا دَوَامٌ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ بِالِاتِّصَالِ بَأَنَّهُ لَا يَفْرُغُ ذَلِكَ حَتَّى لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي هَذَا الْإِتِّصَالِ لِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

قَوْلُهُ: "عَلَى خَلِيلِكَ وَحَبِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ"، قَوْلُهُ الْخَلِيلُ وَالْحَبِيبُ يَحْتَمِلُ هَاهُنَا عَطْفَ الْبَيَانِ وَالْمُرَادِفَةِ [بَكُونِ:]¹ الْحَبِيبُ هُوَ الْخَلِيلُ، وَالْخَلِيلُ هُوَ الْحَبِيبُ، وَيَحْتَمِلُ الْمُغَايِرَةَ. وَإِنْ قُلْنَا بِالْمُغَايِرَةِ هَهُنَا فَالْمُرَادُ بِالْخَلِيلِ الَّذِي يَخْصُهُ بِأَسْرَارِهِ لِيُسَارَهُ بِأَسْرَارِهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَلَا يَعْرِفُ أَسْرَارَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْخَلْقِ، وَالْحَبِيبُ هُوَ الَّذِي يَكْتَنِزُهُ فِي بَاطِنِ نَفْسِهِ فَلَيْسَ عِنْدَهُ فِي الْخَلْقِ حَبِيبٌ يُعَادِلُهُ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ.

قَوْلُهُ: "عَدَدَ مَا فِي عِلْمِكَ الْقَدِيمِ"، مَعْنَاهُ صَلَّى عَلَيْهِ يَا رَبِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِكَ الْقَدِيمِ، فَإِنَّ إِحَاطَةَ الْعِلْمِ لَا غَايَةَ لَهَا، فَكَذَلِكَ صَلَّى عَلَيْهِ يَا رَبِّ صَلَاةً مُتَعَدِّدَةً عَلَى عَدَدِ مَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ.

قَوْلُهُ: "وَعَمِيمٍ فَضْلِكَ"، مَعْنَاهُ صَلَّى عَلَيْهِ يَا رَبِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ الْقَدِيمِ، وَعَلَى عَدَدِ مَا مَسَّهُ فَضْلُكَ الْعَظِيمُ، وَالْمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ الْعَالَمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَجَوَاهِرُهُ وَأَعْرَاضُهُ، فَإِنَّ جَمِيعَهُ وَجَدَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَدَّ بِقَاوُهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا هُنَاكَ إِلَّا مُحَضُّ فَضْلِهِ.

قَوْلُهُ: "وَنُبِّ عَنَّا بِمَحْضِ فَضْلِكَ الْكَرِيمِ"، ثُمَّ رَجَعَ الْمُصَلِّي فِي طَلَبِ النَّيَابَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّفَ الْعِبَادَ بِالصَّلَاةِ عَلَى حَبِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾¹ الْآيَةُ، حَيْثُ طَلَبْتَنَا يَا رَبِّ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتُبِّ عَنَّا أَنْتَ فِي ذَلِكَ صَلِّ عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ نِيَابَةً عَنَّا كَمَا تُصَلِّي عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، وَكَذَا فِي السَّلَامِ أَيْضاً كَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَمَعْنَى مُحْضِ فَضْلِكَ الْكَرِيمِ، مُحْضِ الْفَضْلِ أَنَّهُ يَرِدُ مِنَ اللَّهِ بِلا سَبَبٍ يَسْبِقُهُ.

قَوْلُهُ: "صَلَاتِكَ الَّتِي صَلَّيْتَ عَلَيْهِ"، مَعْنَاهُ صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ مِنَّا فِي الصَّلَاةِ الَّتِي سَأَلْنَاكَ فِي النَّيَابَةِ عَنَّا فِيهَا، صَلِّ عَلَيْهِ تِلْكَ الصَّلَاةِ الَّتِي صَلَّيْتَ بِهَا عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ لِنَفْسِكَ، فَصَلِّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ تِلْكَ الصَّلَاةِ نِيَابَةً عَنَّا.

قَوْلُهُ: "فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ"، مَعْنَاهُ صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَبِّ وَهُوَ حِينَئِذٍ فِي مِحْرَابِ قُدْسِكَ، بِلا بُعْدٍ مِنْكَ، وَمِحْرَابُ الْقُدْسِ [هِيَ]² حَضْرَتُهُ الْأَحْمَدِيَّةُ الَّتِي يَحْمَدُ فِيهَا رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ مِحْرَابُ الْقُدْسِ.

قَوْلُهُ: "وَهَوِيَّةُ أَنْسِكَ"، مَعْنَاهُ حَيْثُ يَكُونُ فِي بَسَاطِ الْأُنْسِ بِكَ حَيْثُ أَنْتَ هُوَ وَهُوَ أَنْتَ، صَلِّ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَسَاطِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: "وَعَلَى آلِهِ"، مَعْنَاهُ طَلَبُ الْمُصَلِّي مِنَ اللَّهِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى آلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَلَبُ الْمُصَلِّي أَيْضاً الصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى صَحَابَةِ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: "وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ"، يَعْنِي عَلَى الْآلِ وَالصَّحَابَةِ، وَالسَّلَامُ هُنَا هُوَ الْأَمَانُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، يَعْنِي كَمَا وَرَدَ مِنْكَ الْأَمَانُ عَلَى حَبِيبِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُورِدِ الْأَمَانَ مِنْكَ عَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ.

قَوْلُهُ: "عَدَدَ إِحَاطَةِ عِلْمِكَ"، مَعْنَاهُ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ، وَمَا أَحَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ لَا غَايَةَ لَهُ كَذَلِكَ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ لَا غَايَةَ لَهَا وَلَا

1. الأحزاب: 56.

2. كذا في نسخة سيدي محمد الكنسوسي

انْتِهَاءَ أَبَدِ الْآبَادِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، انْتَهَى مَا
أَمَلَاهُ عَلَيْنَا شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الصَّلَاةِ مِنْ حِفْظِهِ وَلَفْظِهِ، أَوَاخِرَ
شَوَّالٍ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ عَلَى يَدِ أَفْقَرِ الْعَبِيدِ إِلَى مَوْلَاهُ الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ عَلَيَّ
حَرَازِمِ بْنِ الْعَرَبِيِّ بَرَّادَةَ، لَطَفَ اللَّهُ بِهِ آمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الزاوية الكبرى
لسيدي محمد الكبير التجاني
حي بريمة – مراكش
Grandzawia_berrima@hotmail.com